

السيد هاشم الموسوي: الحسين مدرسة العشق الإلهي

أعزى جميع الأمة الإسلامية بل جميع الإنسانية باستشهاد إمام الأمة أبي الضيم أبي الأحرار سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام وكل من قاتلوا دونه وإلى يومنا هم يقتلون لاسيما شهداء الأحساء الكرام الذين أعطوا الروح حبا وكرامة لأبي عبداً الحسين رحمهم الله وأدخلهم فسيح جناته. إن من صفات المحب الحقيقي لمن أحبه أنه لا يشعر بالألم في سبيل من يحب ومن يعشق ، فالشهادة في طريق الحسين هي التي سطرها الله تعالى ، إذا استشهاد هؤلاء الثلة الطاهرة امتدادا واستمرارا للطريق الإلهي والصراف المستقيم فالحمد لله على هذه الشهادة الكريمة والعزيرة.

بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى في كتابه الكريم (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) صدق الله العلي العظيم.

المحب يتبع المحبوب بالانقياد والجدب ويكون سيره في ذلك مقرونا باللذة والبهجة ، دون أن يحس العبد فيه بمشقة السعي ووعورة الطريق إليه ، مهما علت الأخطار وكثرت العقبات. فإن المحب الحقيقي لا يشعر بتلك العقبات وصعوبة المواصلة فيشعر باللذة والبهجة والانبساط لذلك الحبيب ، إن جميع الأنبياء والرسل قد تغلغل الحب الصادق بل العشق لله تعالى حتى صار ما يعانوه من أذى بردا وسلاما في طريق المعشوق والمحبوب وهو الله.

انظروا إلى مسيرة كل الأنبياء إدريس "عليه وعلى نبينا السلام" ابتلي بالفرار من السلطان وتفرق الأعوان وجوعه ثلاثة أيام ، نوح عليه السلام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين فكانوا يضربونه حتى يغمى عليه ثلاثة أيام يجري الدم من إذنه ، وما صده ذلك عن الدعوة إلى الله ، بل وجد ذلك لذة وبهجة وانبساطا لحبه وعشقه لله تعالى فلا يشعر ولا يحس بتلك المعاناة والآلام ، فإن شئت قصدت الخليل الذي قرب نفسه فعرضها لنار في فرسخ ولم يقبل إعانة الملائكة ولم يدع ربه للخلاص منها ، وقال (حسي من سؤالي علمه بحالي) وما كان ذلك إلا لعشقه وذوبانه وإخلاصه لله تعالى ، فلم يشعر بأي ألم وهو يدعوا إلى ربه. أنظر إلى مأساة يعقوب الذي تفوس ظهره وذهبت عيناه حزنا على يوسف وما رأى ذلك إلا حبا وكرامة لخالقه ، هود عليه السلام ضرب بالعصي والحجارة وعصر نحره حتى دنى أجله و قرب هلاكه ، وصبر حبا وعشقا وكرامة لخالقه فكل تلك الآلام لم تثنيه عن دعوته ، فالمحب مهما قاسى وعانى من الآلام فإنها بهجة ولذة وانبساط لمحبيه ومعشوقه وهو الله سبحانه وتعالى ، أيوب على ما حل به ، قال تعالى عنه

(إننا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب) لذلك لا ترى منهم إلا الرضا والاطمئنان بما أَرَادَهُ ﷻ تعالى ، يحيى والحسين عليهما السلام وجوههم تضيء من النور ، نور ﷻ ، لم يريا فرحا طول عمرهما ولو اتفق هذا الفرح تبدل حزنا .

عن النبي صلى ﷻ عليه وآله وسلم: (أن في النار منزلا لا يستحقه أحد إلا بقتل يحيى والحسين). بكت السماء عليهما دما ، تكلما رأساهما بعد القتل ، فيحى قال: "للملك اتق ﷻ" ورأس الحسين ، قرأ القرآن مكررا وسمع منه لا حول ولا قوة إلا بـ ﷻ ، يحيى قتل صبرا واحتسابا ، وقال السجاد عليه السلام: (أنا ابن المقتول صبرا) ، مع كل هذه الآلام فهي لذة وكرامة وبهجة للخالق عز وجل. سجن يوسف النبي وموسى النبي وإمام موسى عليهم السلام وما حل على أهل البيت من تقتيل وسجن وتهجير وازدراء ومهانة وتضييق وحروب وتضحيات ، كان بردا وسلاما وطمأنينة وبهجة لأنسهم ولعشقهم ﷻ تعالى.

إن للحب درجات وأقسام :

1- أدناها وأقلها ميزانا الحب الحيواني البحت أو قل حب التذاذ قوى النفس ، كحب التذاذ القوة الباصرة لما هو جميل وحسن ، والقوة الذائقة لما هو طيب وشهي ، والقوة الشامة لما هو زكي ، وهذا الحب مشترك بين الإنسان والحيوان.

2- حب الحياة أو الوجود أو البقاء فإن كان هذا الحب التذاذا لقوى النفس فهو من الأول ، وإن كان حب الحياة للاستزادة من الطاعة والخير المعنوي ، وهو حب ﷻ تعالى فهو من القسم الثالث.

3- إن أدى بنا هذا الحب حب الحياة إلى حب واهب الحياة والوجود باعتبار أن وجودنا ؛ إن هو ليس إلا وجودا تعلقيا غير مستقل ، كتعلق المعلول بعلته ، وأن الوجود الاستقلالي ليس إلا ﷻ سبحانه وتعالى فهو المستحق للحب والعشق فهذه درجة عالية من الحب العرفاني ، ولعل حديث: (من عرف نفسه فقد عرف ربه...) أي أن الإنسان لا يعرف الوجود المستقل أو قل واجب الوجود إلا إذا عرف وجوده التعلقى و الممكن ، وهنا كلمة لطيفة منسوبة لبعض العلماء وكأنه قصد بها تفسير ذلك بقوله: (الروح لطيفة لاهوتية في صنعة ناسوتية دالة من عشرة أوجه على وحدانية ربانية).

4- حب المنعم والمحسن وهذا الحب ينمو ويشد في العبد بالنسبة ﷻ تعالى بقدر اكتشاف العبد لنعم ﷻ وتدبره فيها .

5- حب الجمال والجلال إن صح التعبير، وهو حب المستحق للحب سواء أحسن إليك أم لا ، وهذا الحب لا ينبغي إلا لمن استجمع صفات الفضائل والكمال والجمال الباطني ولا جامع لهذا كله من الكمالات إلا أن تعالی ، وليس جمال المخلوقين وكمالهم إلا تجليا لشمس جماله وترشحا لبحر جلاله تعالی حيث ورد في الدعاء الشريف: (اللهم إني أسألك من جمالك بأجمله وكل جمالك جميل اللهم إني أسألك بجمالك كله) وهذا الحب ذي المرتبة العالية لا يكون إلا لدى العرفاء الكمال.

6- الحب الناشئ من القرب في سلسلة الوجود ، والأقرب إليك في تلك السلسلة هو أن تعالی أقرب من الأبناء والآباء والعشيرة وهذا أيضا لا يكون إلا لدى العرفاء وأهل الكمال الذين يفتدون بأنفسهم وأولادهم في سبيل رضا أن الحبيب المطلق.

7- الحب الناشئ من الأنس مثل الأنس بالمصاحب أو الشريك ولكن أنسك با أن هو الذي يجعل من العبد محبا لمناجاة ربه وبث شكواه له واتخاذة خليلا وهو خاص بأوليائه أن وأصفيائه والذي تمثل في الحسين وآل الحسين وآبائه وأجداده الطيبين الطاهرين.

الأنس با لا يحويه بطلال وليس يدركه بالحول محتال

والآنسون رجال كلهم نجب وكلهم صفوة أن عمال

إتباع أهواء النفس و ميولها يفسد القلب ويجعله مظلما ، أما صفاء الروح ونقاوتها من كل الأهواء ، ليكون ملاء ذلك القلب العشق والهيام وبالتالي محلا لتجليات الأنوار الإلهية ، قال تعالی: (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل أن). أهواء النفس تمنع الأنس بالرب والانقطاع إليه ، إذن سر كمال النفس وجلال الروح هو الإخلاص لبارئها ولا يكون الإخلاص إلا بالحب ، وإذا أحب العاشق سارع لمناجاته والانقطاع إليه في العبادة ، فالعباد المخلصون و المحبون الإلهيون الذين يعبدون أن لأنهم يعرفونه ولكونه تعالی منبع الكمالات والفيوضات ، وبالتالي يعشقونه ويأنسون بعبادته وخدمته ، وهذه أعلى مراتب الإخلاص. يقول الإمام الصادق عليه السلام: (إن الناس يعبدون أن على ثلاثة أوجه: فطبقة يعبدونه رغبة في ثوابه فتلك عبادة الحرصاء وهو الطمع وآخرون يعبدونه خوفا من النار فتلك عبادة العبيد وهي رهبة ولكني أعبده حبا له عز وجل فتلك عبادة الكرام وهو الأمن لقوله عز وجل: (وهم من فزع يومئذ آمنون) و بقوله تعالی: (إن كنتم تحبون أن فاتبعوني يحببكم أن ويغفر ذنوبكم) فمن أحب أن أحبه أن ومن أحبه أن كان من الآمنين).

من الآمنين يوم الفزع الأكبر، والأمن يعني الطمأنينة والنفس المطمئنة هي المحبة التي لا ترى إلا حبيبها. كلما كان حب الإنسان أكثر وأكثر وتعلقه بعالمه اللا متناهي واللاهوتي كانت روحه أكثر ثباتا واطمئنانا ، ووهج نوره أشد وأعظم ، بمعنى كلما زاد العبد حبا □ زاد قربا وبالتالي نورا و وهجا إلهيا في قلبه ، لينعكس على روحه وبدنه وحياته ، وهذا القرب قربا كماليا ودرجة وجودية رفيعة. ثبت في كتب الحكمة والفلسفة الإسلامية أن الوجود حقيقة مشككة ، بمعنى أن لها مراتب ودرجات كالنور. النور له درجات من نور بسيط إلى أقوى وأقوى حتى نصل إلى أعلى مراتب النور حيث لا شيء غير النور ، وكذلك مراتب الوجود فهي متفاوتة ودرجات تختلف شدة وضعف ، أقل مراتب الوجود وأقلها درجات وجود الطبيعة والمادة ، وأعلى مراتب الوجود وجود الذات الإلهية المقدسة □ المتعال ، حيث هي لا متناهية من حيث الكمال الوجودي وبين هاتين المرتبتين يوجد درجات من الوجود اختلافها ناشئ عن شدتها و ضعفها من هنا يتضح أنه كلما كان الوجود أقوى ودرجاته أرفع وأكمل كلما كان صاحبه أقرب إلى الذات الإلهية المقدسة اللا متناهية ، وبالعكس كلما كان أضعف كلما ابتعد عن ذات واجب الوجود. النبي الأكرم صلى □ عليه وآله وسلم هو أقرب الوجودات إلى □ تعالى فهو قاب قوسين أو أدنى ثم علي وفاطمة والحسن والحسين الشهيد عليهم السلام ، هم أقرب الخلق إلى □ وأكثرهم حبا له تعالى.

هم أنوار الهداية استمدوا النور من نور النور ، النور المطلق ، بل هم نور □ في الأرض وهم أقرب الخلق لديه ، وكلما كان ذلك الوجود أبعد صار أسوأ مراتب الوجود بل أسوأ حتى من الحيوانات والجمادات ، فإرن بين كمال الحسين وقربه وحب □ وحب □ له ، وبين يزيد وبعده عن □ وكره □ ليزيد و أعوانه. خلقهم من نوره وقده لما متعوا به من كمال الوجود وعشقهم اللا متناهي يظهر لنا من خلال هذا التوضيح أن حركة وارتقاء الإنسان مستمرة نحو مقصد لا متناهي ، فكلما سعى الإنسان أكثر في معرفته با□ ، كلما كان عشقه □ أكبر كلما ارتفع إلى مقام أعلى واستفاد من الفيوضات الإلهية أكثر. حيث ورد في الدعاء الشريف وابعثه المقام المحمود الذي وعدته وهو المكان الأقرب إلى □ في الجنة ، قاب قوسين أو أدنى منتهى القرب كيف وصل لهذا المقام المحمود إلا لشدة حبه لربه.

وجميل ما قاله العلامة الكفعمي: (كم □ من عبد لا يعرف ربا سواه ولا يتخذ إلهه هواه وجهه وضياء و فعله رضي وقلبه سماوي وجسمه أرضي) و كلما كانت الروح العاشقة □ أكثر عشقا ومعرفة وحب □ كانت أكثر اطمئنانا وخشوعا ورضا بقضاء □ ، قال □ تعالى: (يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية) صدق □ العلي العظيم.

فالحسين هو من جسد الرضا بالمقسوم ، واطمئنان الروح.

(الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون) هذا هو العشق هذا هو القرب من الله هذا هو الهدوء النفسي والاطمئنان الروحي الذي تجسد في نور من أنوار الله في الكون وهو الحسين العظيم. أحب الله من أحب حسينا ، عشق الحسين لربه جعل الأحرار في كل مكان وزمان يحبونه وعلى مختلف دياناتهم وأفكارهم من مسيح وصابئة وغيرهم فهم شاركوا في تعزية الحسين وكتبوا فيه وسطروا الكتب. صدق الرسول الأعظم حينما قال: (إذا أحب الله عبدا من أمتي قذف في قلوب أصفياؤه وأرواح ملائكته وسكان عرشه محبته ، ليحبوه فذلك المحب حقا طوبى له ثم طوبى له ، وله عند الله شفاعاة يوم القيامة). السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين. اللهم اجعل الحسين شفيعا لنا يوم القيامة.

